

المحاضرة السادسة : علم اجتماع المعرفة عند كارل ماركس :

يعدّ الفيلسوف الاقتصادي الألماني كارل ماركس: 1818 – 1883 مؤسس النزعة الماركسية – واحداً من الآباء الخمسة الأوائل لعلم الاجتماع، ويصنف على أنه أكثرهم نفوذاً وتأثيراً في الفكر السوسيولوجي المعاصر كما هو الحال في الفلسفة الحديثة، ولا غرو أنه ترك بصمته المميزة في مجال الفلسفة الاجتماعية الحديثة، وقد قدر له أن يؤسس لنظرية المادية التاريخية التي تشكل الإطار المنهجي والتاريخي لعلم الاجتماع الماركسي الذي استطاع أن يسجل حضوره في التاريخ بتدفق كبير من الأعمال والدراسات الهامة في تاريخ السوسيولوجيا العالمية.

1-المعرفة من المنظور الماركسي : يرى ماركس أن المعرفة ليست مجرد أفكار مجردة، بل هي نتاج مادي-اجتماعي يتحدد بشكل أساسي بموقع الفرد من وسائل الإنتاج؛ فالبنية الاقتصادية (علاقات وقوى الإنتاج) هي الأساس الذي تنشأ منه البنية الفوقية التي تشمل الوعي، الأفكار، الفلسفة، القانون، والدين، وتخدم هذه المعرفة مصالح الطبقة المهيمنة (البرجوازية) عبر الأيديولوجيا التي تبرر سيطرتها، بينما تسعى البروليتاريا لتحقيق وعي طبقي ثوري يكسر هذه الأوهام من خلال الممارسة الثورية والعمل .

و المعرفة من المنظور الماركسي هي نتاج مادي تاريخي، وليست تأملاً عقلياً مجرداً، حيث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأسلوب الإنتاج والممارسة العملية (العمل). تُعد المعرفة أداة للصراع الطبقي وتغيير الواقع، وتتطور عبر المادية الجدلية لفهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، بهدف تحرير الإنسان وبناء مجتمع اشتراكي

سوسيولوجيا كارل ماركس هي نظرية نقدية وصراعية تدرس المجتمع من خلال المادية التاريخية، حيث يعتبر أن الأوضاع الاقتصادية (علاقات الإنتاج) هي الأساس الذي يحدد البنية الاجتماعية والسياسية والفكرية. يركز ماركس على الصراع الطبقي بين البرجوازية (مالكي وسائل الإنتاج) والبروليتاريا (العمال) كمحرك للتاريخ والتغيير الاجتماعي نحو مجتمع اشتراكي .

3-النقاط الأساسية في علم اجتماع المعرفة الماركسي:

1-المادية التاريخية:المجتمع يتطور عبر مراحل تاريخية محددة (شيوعي، عبودي، إقطاعي، رأسمالي، اشتراكي) بناءً على تطور قوى الإنتاج وتغير علاقات الإنتاج.

2- المادية الجدلية : المادية الجدلية (أو الديالكتيكية) هي الفلسفة الماركسية الأساسية التي وضع أسسها كارل ماركس وفريدريك إنجلز، وتنظر للعالم كـ "مادة" في حركة وتطور مستمرين، مدفوعين بالتناقضات الداخلية والصراع بين الأضداد. تجمع بين المادية (أسبقية المادة على الوعي) والجدل الهيجلي (تطور عبر التناقض)، لتفسير الطبيعة والمجتمع كعملية متجددة.

المعرفة عملية ديناميكية مستمرة تتطور من الجهل إلى المعرفة، وتتجاوز النظريات السابقة عبر الصراع والتجديد.

• الأساس الفلسفي:تعتبر أن الواقع مادي في جوهره، وأن الوعي والأفكار هما نتاج وتطور للمادة.

• قوانين الديالكتيك :

1. وحدة وصراع الأضداد: كل شيء يحتوي على تناقضات داخلية تحركه وتطوره.

2. تحول الكم إلى كيف:التغيرات الكمية الصغيرة تؤدي إلى قفزة نوعية في الجودة (تغير جذري).

3. نفي النفي:التطور يسير في لولب، حيث يحل الجديد محل القديم (ينفيه) مع الاحتفاظ بجوهره

4. المادية الجدلية والمادية التاريخية:المادية الجدلية هي الفلسفة الشاملة (للطبيعة والفكر)، بينما المادية التاريخية هي تطبيق هذه المبادئ على المجتمع والتاريخ، معتبرة الصراع الطبقي والإنتاج المادي محرك التاريخ.

3-البنية التحتية والبنية الفوقية:

1. البنية التحتية:الأساس الاقتصادي (علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج).

2. البنية الفوقية:المؤسسات والأفكار (قانون، سياسة، ثقافة، دين، فلسفة) التي تتشكل فوق الأساس المادي وتبرره.

4-المعرفة كأيدولوجيا: الأفكار السائدة (الوعي العام) تعكس مصالح الطبقة الحاكمة وتُقدم للعالم صورة مشوهة تخدم سيطرتها (الأيدولوجيا)، وهي ليست "حقيقة مطلقة" بل "فكر سائد".

5-الطبقة الاجتماعية كعامل رئيسي: موقع الطبقة (مالكة لوسائل الإنتاج أو عاملة) يحدد نمط التفكير والرؤية للعالم.

6-الممارسة (العمل) كمعيار للحقيقة: المعرفة الحقيقية تنبع من النشاط الإنساني العملي (الممارسة الثورية)، وتتحول من النظرية إلى الممارسة لتغيير الواقع، لا مجرد تأمله.

7-الوعي الطبقي: هدف الماركسية هو رفع وعي الطبقة العاملة (البروليتاريا) بواقع استغلالها، لتتحرر من قيود الأيدولوجيا البرجوازية وتخوض الصراع الطبقي .

3-أبرز مقولات كارل ماركس

- عن العمل والبروليتاريا: "يا عمال العالم، اتحدوا! ليس لديكم ما تخسرونه سوى قيودكم".
 - عن التاريخ: "إن تاريخ كل مجتمع قائم حتى الآن هو تاريخ الصراعات الطبقيّة".
 - عن الوعي والوجود: "ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، وإنما وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم".
 - عن الدين: "الدين أفيون الشعوب" (يقصد به أن الدين يواسي الإنسان في تعاسته الواقعية، لكنه يمنعه من تغييرها).
 - عن الرأسمالية: "إن تراكم الثروة في قطب واحد من المجتمع، هو في نفس الوقت تراكم الفقر والبؤس في القطب الآخر".
 - عن الفلسفة والتغيير: "لم يقدّم الفلاسفة بتفسير العالم بطرق مختلفة، ولكن المهم هو تغييره".
- باختصار، يرى ماركس أن المعرفة في المجتمع الطبقي ليست محايدة، بل هي جزء من الصراع الطبقي وتتأثر بالظروف المادية، والهدف هو تحويل المعرفة إلى أداة نضالية لتغيير العالم و من ثم المعرفة في الماركسية هي "أداة للثورة" وفهم آليات التغيير الاجتماعي..